

الفصل الثالث

من مصطلحات التجويد والقراءات

لا بد لنا في هذا الصدد أن نوضح المقصود بأمر مهممة هي :
التلاوة ، والترتيل ، والتجويد والأداء ، ثم نذكر معنى العلم في
التجويد والقراءات .

فالتلاوة : هي قراءة القرآن على التابع بين آياته وسوره .

وهي في الأصل مصدر للفعل ، تلا يتلو ، والمادة - كما يقول
ابن فارس - تفيد « الاتباع » يقال : تلاه إذا تبعه ، وتلوته إذا تبعته .

ويقال تلا يتلو إذا أتبع الكلام بعضه بعضا ، وتطلق التلاوة
على القراءة مطلقا ، ويدخل فيها قراءة القرآن . يقول الزبيدي :
« تلوت القرآن أو كل الكلام : قرأته »^(١) ويذكر ابن دريد : « تلوت
القرآن ، إذا قرأته ، كأنك أتبع آية بعد أخرى »^(٢) .

ويجعل بعض العلماء اتباع الرسم في الكتب المقدسة كخط
المصحف داخلا في معنى التلاوة : لأنها اتباع للقراءة واتباع للرسم
أيضا .

وتلاوة القرآن لا بد أن تكون على تؤدة وتأن في القراءة بما تتبين
معه الحروف والحركات من غير عجلة .

أنواع التلاوة

للتلاوة طرق متنوعة مأثورة عن القراء وهي مستمدة مما كانت
تجرى عليه طبائع العرب وما فطروا عليه في بيئاتهم المتعددة وما

(١) انظر تاج العروس .

(٢) الجمهرة ٢ / ٩٢ .

- ويقول الجوهري : الترتيل في القراءة : الترسل فيها والتبيين بغير بغي (مادة رتل) .

- وفي القاموس : الرتل : « محركة » حسن تناسق الشيء .

كانت تقتضيه من تأن أو زيادة أو توسط فيه أو سرعة فى النطق ،
وهذه الطرائق تتفق مع الطباع البشرية التى لا تخرج عن واحد منها
فالإنسان إما أن يبطئ فى النطق أو يسرع أو يتوسط (١) وهذا خاضع
للمدة الزمنية التى يستغرقها الناطق طولاً وقصراً ، وهذا القدر
الزمنى يتفاوت حسب البطء والسرعة ويتناسب معهما تناسبا
عكسيا .

فالإبطاء يزيد معه الزمن المستغرق والإسراع يقل فيه الزمن
وكلما قلَّ الإبطاء أو زاد اختلف الزمن الذى يستغرقه نطق الحروف
والكلمات .

ومن هنا وجدت أنواع للتلاوة وهى كالتالى :

١ - التحقيق :

فى اللغة هو الوصول إلى حقيقة الشئ ومعرفة كنهه ويراد منه
الإتيان بالشئ على حقه أى وجهه من غير زيادة فيه ولا تنقص منه .
وهو - عند أهل الأداء - (علماء التجويد والقراءات) بمعنى
إعطاء الحروف والحركات حقها دون زيادة على طبيعتها الواجبة لها ،
وذلك كإشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات واعتماد الإظهار
والتشديدات وتوفية الغنات والوقوف فيما يجوز الوقف عليه إلى
غير ذلك .

ولكنه يتسم بشئ من البطء والتؤدة أكثر من الترتيل .

وهذا اللون مأثور عن بعض القراء ؛ فمن أصحابه حمزة ورواه
قتيبة بن مهران عن الكسائى كما رواه بعض المصريين عن الحلوانى
وهشام وروى عن ورش ، وهو شائع عند قراء العراق .

(١) هذا أيضا يقع فى كل اللغات ويسمونه Tem Po (مقدار الزمن) ومنه العادى

والبطئ والسرير ، انظر :

- Heffner : General Phonet : Gs, P 204,205

- (هيفنر فى كتابه علم الأصوات العام) ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

ويستخدمه القراء وعلماء التجويد - عادة - فى التعليم
والتمارين والرياضة لإجادة قراءة القرآن الكريم وحفظه على النحو
السليم .

ومع ذلك يجب أن يحذر فيه من زيادة البطء فى نطق الحروف
والحركات حتى لا يؤدى ذلك إلى تحريك السواكن ، وتوليد الحروف
عن الحركات ، والمبالغة فى تكرير الراءات ، والبعد عن زيادة الغنات
التي تؤدى إلى تطنين النونات إلى غير ذلك مما تنفر عنه الطباع
السليمة .

وكما قال السخاوى :

للحرف ميزان فلا تك طاغيا

فيه ولا تك مخسر الميزان (١)

وقال الخاقانى :

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه

فوزن حروف الذكر من أفضل البر (٢)

٢ - الترتيل :

وهو فى الأصل مصدر رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضا
متأنيا فيه .

قال ابن الجزرى : الترتيل اتباع القراءة بعضها بعضا على
مكث وتفهم فى نطق الحروف والحركات من غير عجلة (٣) .

وسئل على كرم الله وجهه عن معنى قول الحق تبارك وتعالى :

(١) التوبة : عمدة المفيد فى علم التجويد مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٨ قراءات
الورقة ١ .

(٢) القصيدة الخاقانية ، مخطوطة دار الكتب المصرية ضمن مجموع رقم ٢٤٦ (مجاميع
تيمور) الورقة ٨٦ .

(٣) النشر ١ : ٢٩٦ ونهاية القول المفيد ص ١٥ .

﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (٤) « المزل » فقال : هو تجويد
الخروف ومعرفة الوقوف .

وقد جاءت الآيات القرآنية مؤكدة التريث في القراءة : وتحسين
النطق كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى
مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (١٠٦) « الإسراء » .

وقد نزل القرآن الكريم منجما أو مفرقا في ثلاث وعشرين سنة
أو عشرين سنة ليثبت بالترديد ويستقر في القلوب والصدور . يقول
القسطلاني :

« وفي إنزال القرآن الكريم مفرقا وجوه من الحكمة : منها
تسهيل حفظه وتكرير لفظه : لأنه لو نزل جملة واحدة على أمة أمية
لا يقرأ غالبهم ولا يكتب لشق عليهم حفظه وثقل لفظه كما أشار
إلى ذلك سبحانه وتعالى بقوله - ردا على الكفار - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ
فُؤَادَكَ ﴾ (٣٢) « الفرقان » .

كذلك أى أنزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه
وتحفظه لأن المتلقى إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء
وجزءاً بعد جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه (١) .

وقال عز من قائل : ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (١٦) إِنَّ
عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قُرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) « الفرقان » .

٣ - التدوير :

هو التوسط بين المقامين التحقيق والحدرد مع التدبر والتفكر ،

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات ، ص ٢٤ .

وقد قرأ بالتدوير أكثر الأئمة من روى مدّ المنفصل ولم يبلغ به حدّ الإشباع كابن عامر والكسائي .

وهو المختار عند أكثر أهل الأداء .

٤ - الحدر :

فى اللغة مصدر حدر - يحدر - بالضم - مثل نصر ينصر : أى أسرع .

والحدور : الهيرط - ضد الصعود - ومن خصائصه الإسراع .

وهو فى اصطلاح أهل الأداء : إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها وذلك كما يحدث من قصر المنفصل واختلاس الحركة والتسكين والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة وبشرط ألا يخل بالأحكام التجويدية العامة على الوجه المعتاد من إظهار وإدغام ووصل ووقف ومد وقصر وسائر ما هو معروف منها فى التجويد (١) .

والقراءة بالحدر مذهب ابن كثير وأبى جعفر وأبى عمرو ويعقوب وسائر من قصر المنفصل كالولى عن حفص وقالون والأصبهاني عن ورش وأكثر العراقيين عن الحلواني عن هشام .

والحدر ينسب إلى بيئات عربية تميل إلى السرعة وعدم التأنى فى النطق كـ بعض البيئات البدوية .

ويذكر مكى نصر أن الحدر من طباع العرب وما تكلمت به الفصحاء منهم (٢) لكن القارئ به ينبغى أن يحترس من التجاوز والإفراط فى السرعة حتى لا يؤدى ذلك إلى الإخلال بقواعد وأصول التجويد كترك المد : وذهاب صوت الغنة واختلاس أكثر الحركات .

(١) النشر ١ / ٢٠٧ والقول المفيد ص ١٥ .

(٢) نهاية القول المفيد : ص ١٥ .

فالإفراط في السرعة يؤدي إلى حالة لا تصح بها القراءة .
وهذه الأنواع الأربعة يتفاوت فيها زمن النطق حسب البطء
والسرعة على التقابل فما كان بطيئاً احتاج إلى زمن أطول ، وما كان
سريعاً إلى زمن أقل . والتوسط يحتاج إلى زمن على قدره بين بين .
والتحقيق والحدرد متباعداً كل منهما على طرف غير الذي
عليه الآخر .

فالتحقيق غاية البطء والحدرد غاية السرعة والتحقيق يشترك مع
الترتيل في البطء إلا أن التحقيق زائد في ذلك على الترتيل ، ولذلك
فإن التحقيق أخص من الترتيل ، ونظر بعضهم إلى أن التحقيق في
البطء والترتيل نوع داخل فيه فجعل التحقيق أعم من الترتيل (١) ،
وهما نظرتان مختلفتان في الألفاظ ومتفقتان في المضمون فإذا جعل
التأني هو الأساس والبطء زيادة في التأني فالترتيل أعم والتحقيق
أخص منه ، وإذا جعل البطء هو الأساس والتأني نوع من البطء
فالتحقيق أعم من الترتيل والترتيل أخص منه .

وبين الترتيل والتدوير وشائج قريبي فبينهما شبه كبير في
إعطاء الحروف حقيها والتأني في أدائها بحسب اختلاف البيئات
العربية وما يميل إليه القارئ مما تجوز القراءة به .

ولا شك أن لكل واحد من هذه الأنواع أثره وأهميته فالتحقيق
مطلوب للتعليم والتدريب والترتيل والتدوير مطلوبان للتدبر
والتفهم (٢) وفضل القراءة بهما كثير من القراء للتفقه والتدبر .

وما أنشد الخاقاني :

وترتيلنا القرآن أفضل للذي

أمرنا به من مكثنا فيه والفكر

(١) المصدر السابق : ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٧ .

ومهما حدرنا درسنا فمرخص

لنا فيه إذ دين العباد إلى اليسر

ويفضل بعض القراء القراءة بالحدر للإكثار من القراءة وللحصول على ثواب أكثر لما جاء في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن « ألف » حرف « ولام » حرف و « ميم » حرف ﴾ (١) .

ولكن ما عليه معظم السلف والخلف هو أن أنواع التلاوة الأخرى التي تشتمل على التأنى كالترتيل والتدوير مع قلة المقروء أفضل من السرعة مع كثرته (٢) وليس أحد مكرها على اتباع أحد هذه الأنواع من التلاوة دون غيره لئلا يكون في ذلك التكليف بما لا يستطاع (٣) .

وتجاوز هذه الطرائق الأدائية بالنقص أو الزيادة يعد حراماً لا يجوز اتباعه في القرآن .

وقد ظهر أن التجاوز يتخذ أشكالاً عديدة منها :

١ - طريقة الغناء أو الطرب أو الترقيص :

وذلك بتجاوز الحقوق التي تتبع في نطق الحروف الصامتة والحركات بتنغيمها بطريقة تشبه ألحان الغناء من التكليف والتمطيط والتعسف والتغيير ، وقد يبدو ذلك في إطالة المد على غير حده أو تقصيره عن وجهه المطلوب ، ويدخل في ذلك التكرس في نطق الحروف والكلمات كأنه يرقص ومن ذلك ما يحدث من محاولة

(١) جامع الترمذى (تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى) ٨ / ٢٢٦ ، ودليل الفالحين

٣ / ٤٩٣ ، والنشر : ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) النشر : ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) كما قال الإمام مالك . انظر : نهاية القول المفيد ص ١٧ .

الوقوف على الحرف الساكن ثم ترك الوقف عليه والنفور عنه بتحريكه .

٢ - الترعيد :

بأن يجعل فى صوته أثر رعدة كالذى يرعد من شدة البرد .

٣ - التحزين :

بأن يظهر فى صوته أثر الحزن ويتجه به نحو البكاء وإظهار الخشوع ، فهذا ونحوه يعد نوعا من الرياء .

٤ - التحريف :

كأن يذهب بالحروف والكلمات عن مستحقها الصوتى . ومن صورته - أيضا - أن تقرأ جماعة فى وقت واحد ينطق بعضهم جزءا من الكلمة أو العبارة وينطق بعضهم الآخر بالجزء الآخر من الكلمة أو العبارة ، وهذا من الابتداع والحُرمة (١) .

هذا والغناء واستخدام الألحان المتبعة فيه حرام فى القراءة على هذا النحو الذى يقوم على الموسيقى مخالفا الأداء الواجب .

أما قول الرسول ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٢) .

فالمراد من الفعل (يتغن) معنى الاستغناء به والاقتصار عليه لما فيه من الخير ولما فى العمل به من السعادة والقناعة عن الشهوات والموبقات . أو المراد بقوله (يتغن) تحسين القارئ صوته أو محاولة ذلك التحسين ، أو اهتمام السامع بهذا التحسين لتلذذ به الأسماع وتثأثر به القلوب ، والمقصود بالتحسين اتباع الواجب فى أصوات القرآن بجودة الأداء وتقويم اللفظ والبعد عن مجاوزة الحد بما يفسد القراءة وتمجده الطباع السليمة (٣) .

(١) نهاية القول المفيد : ص ١٨ وما بعدها .

(٢) سنن أبى دارود ٢ / ٧٤ .

(٣) النشر : ١ / ٢١٢ ، ٢١٣ .

وقد دعا الرسول ﷺ إلى تحسين الصوت بالقرآن في قوله :
(زينوا القرآن بأصواتكم) وقوله (حسنوا القرآن بأصواتكم
فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) (١) .

وجاء حديث آخر لرسول الله ﷺ يوضح الأخذ بالواجب في
القراءة حسب ما جاء عن العرب من النطق الواضح السليم والبعد
عن ما لم تألفه طباعهم وما جرى عليه منطقتهم مما عرف عن
المنحرفين من أهل الفسق والكبائر لقوله ﷺ :

(اقرأوا القرآن بلحون العرب وإياكم ولحون أهل الفسق
والكبائر فإنه سيحى أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء
والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من
يعجبه شأنهم) (٢) فلحون العرب يقصد بها ما جاء موافقا لطبع
العرب وسليقتهم التي جبلوا عليها واعتادوها بلا زيادة أو نقص .

ويقصد بلحون أهل الفسق والكبائر اتباع طرائق غريبة عما
عهد عن العرب أصحاب اللغة من لحن موسيقى غريب على سنن
العرب مما جاءت به النغمات الموسيقية وفق التأليف المستحدثة .

وهذا إذا أخذ به القارئ ابتعد عن النهج الصوتي السليم
للقراءة والأخذ به والتمادى فيه يوقع في الحرمة .

(١) سنن الدارمي ٢ / ٤٧٤ عن البراء بن عازب ، وسنن النسائي ٢ / ١٧٩ (باب تزوين

القرآن بالصوت) .

(٢) سنن النسائي ٢ / ١٧٩ .